المسافر

كلمات: **ناهد نصر**

من الميناء يأتى وللميناء يعود، رحلة بحار مغامر استغرقت أعواماً لتأخذه من قمم الأمواج إلى قمة الفن، وتصنع له تاجاً من البرونز يهديه إلى ميناءه القديم.

من عالم هنموس بالحكايات فى «خريبكة» المغربية مسقط رأسه، إلى الدفء والخضرة فى الجنوب الفرنسى، سارت حياة برونو كاتالونو البحار الذى جذبه الفن فترك عالم الموانى والأسفار ليصنع رحلته الخاصة. مجسماته البرونزية المعجونة برائحة البحر والغربة، تعكس الطموح والتنوع والتطلع إلى المجهول الذى تصنعه فراغات متعمدة فى منتصف تماثيله يتركها لخيال المتلقى ليستكملها كيف يشاء.

ذاعت شهرة برونو كاتالونو فى أوائل التسعينات إلا أن مجموعته «المسافر» تحولت إلى أيقونة تعبر عن رؤية بحار قديم للحياة، وتعكس كل خبرة الفنان عبر سنوات تفرغه الكامل للنحت دون غيره، فجميع تماثيل «المسافر» عبارة عن شخوص برونزية بالحجم الطبيعى، تحمل حقيبة وكأنها توقفت فجأة فى منتصف الهواء سارحة فى المجهول. وعلى طريقة كاتالونو ترك جزءا فى منتصف التماثيل خالياً وكأنه قطعة مفقودة، بينما يرتبط الجزء العلوى للتمثال بجزئه السفلى بخيط رقيق يكاد لا يرى، لكنه يسمح للمشاهد باستكمال الجزء الناقص حسب ما يتراءى له.

بدأ ارتباط كاتالونو بالفن التشكيلى فى الثلاثين من عمره، دون سابق إنذار، فهو لم يدرس الفن، ولم يقترب منه خلال عمله كبحار. وقع فى غرام الفرشاة والألوان ثم تركهما إلى خامة الطين وظل يواصل لعبة التشكيل والتكوين حتى تعلق بخامة البرونز التى لم تكن علاقته بها يسيرة، بسبب ارتفاع سعره والتقنيات المعقدة التى يحتاج لها، فبدأ على مهل فى استخدام الخامة داخل الاستوديو الخاص به بمساعدة «مسيو أولينجو» جاره العزيز الذى تحول فيما بعد إلى أحد أشهر موديلاته. ورغم خطورة العمل بالخامه داخل استوديو إلا أن كاتالونو كان مولعاً بمنح أعماله أبعاداً أكبر وأعظم.

فى سطور

برونو كاتالونو

- فنان فرنسى ولد عام ١٩٦٠
- ذاعت شهرته الفنية عام ١٩٩٠
- اشتهر داخل فرنسا وحول العالم ببصمته الخاصة وأسلوبه المميز فى النحت بخامة البرونز.
- صارت أعماله ضمن مقتنيات العديد من المؤسسات الفنية الكبرى.
- تعرض أعماله فى فرنسا وإنجلترا والصين وبلجيكا وسويسرا والولايات المتحدة.

قضى الفنان عشر سنوات كاملة من التجريب قبل أن يصل إلى مفهومه وأسلوبه الخاص. والطريف أن البصمة الفريدة فى صنع فراغات فى منتصف منحوتاته، بدأت بالمصادفة عندما انكسر تمثال قضى وقتاً طويلاً فى نحته، ولأنه لم يرغب فى التخلص منه، لجأ إلى وصل الأجزاء ببعضها ومن هنا تولدت فكرة الجزء الناقص، التى صارت مرتبطه بأسلوبه فى النحت، وجعلت أعماله محفزة للجمهور على التفاعل معها. وهو يسعى لأن يرى كل شخص نفسه فى أعماله، كما هى الحال فى مجموعة «المسافر» التى تعكس مشاعر متشابكة ومعقدة كالاغتراب، والوحدة، والاستكشاف، والمغامرة والمصير المجهول، والأمل أيضاً.

يعترف كاتالونو بأنه ينحت التماثيل حتى يشعر بأنه حى، فالفن هو الحياة التى غادر كل شىء لأجلها تاركاً المهنة الوحيدة التى يعرفها ليقضى سنوات داخل الاستوديو يعمل ويعمل لعشر ساعات يومياً دون مقابل. هو يقول إن كلمة السر التى رافقته طوال مسيرته إيمانه بنفسه: «لقد آمنت دائماً بنفسى»، وذلك هو بالتحديد سر نجاحه الذى ينطوى على كثير من التحدى وروح المغامرة والصبر. ويحلم كاتالونو بمعرض كبير لتماثيل ضخمة تسافر تلف العالم منتقلة من بلد إلى آخر وكأنها تصل بين الناس لأنها تعبر عن أعماق الإنسان، وهو ما يربط بين البشر فى كل مكان.

ويعكف برونو كاتالونو حالياً بجدية على هذا المشروع بمشاركة ابنته، حيث يعد لعرض عشرة من تماثيل المعرض التى نحتها بالحجم الطبيعى فى الهواء الطلق على ميناء مرسيليا لمدة شهر فى إبريل من العام الجارى، ويقول «فخور بأننى أبدأ مشروعى فى هذه المدينة وعلى ذلك الميناء الذى شهد جزءاً كاملاً ومؤثراً ورائعاً من حياتى».